

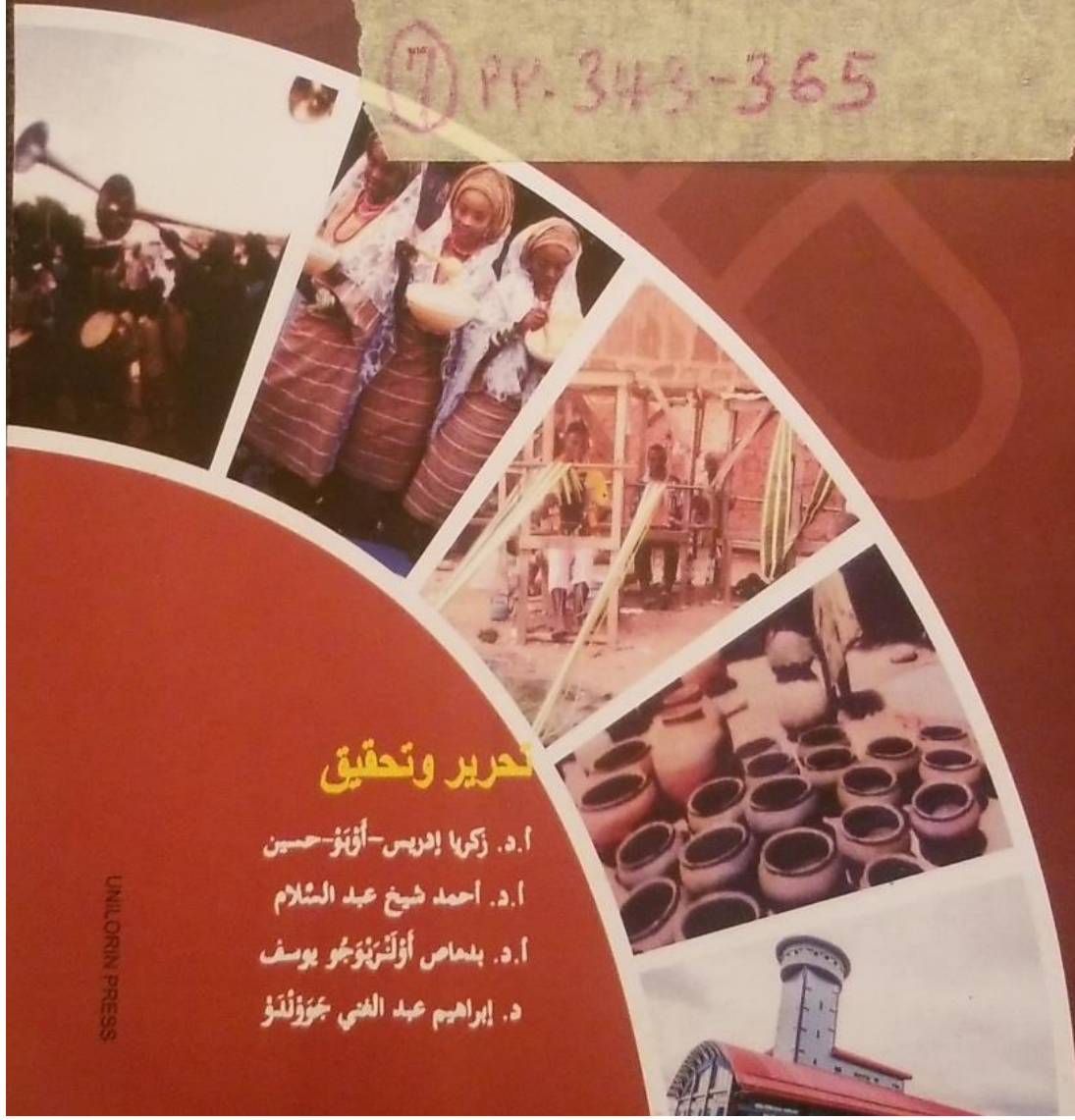


⑥ pp. 415 - 428



التنمية الاجتماعية الاقتصادية في إمارة إلورن منذ القرن العشرين

⑦ pp. 343 - 365



تحرير وتحقيق

- أ.د. زكريا إدريس - أوتو-حسين
- أ.د. أحمد شيخ عبد السلام
- أ.د. بدماس أوتنن-يوجو يوسف
- د. إبراهيم عبد الغني جوفونلو

UNILORIN PRESS

CHAPTER 26

رسوم التعليم في المدارس العربية وأثرها على التّعلّم والتعليم في مدينة إلورن

إعداد

حسنة فُنيلايُو أبوبكر - حامد

مقدمة

اشتهرت مدينة إلورن بوصفها مركزًا للعلوم العربية والإسلامية، انتشرت هذه العلوم عن طريق المدارس الدهليزية في أول وهلة ثم أسست المدارس العربية النظامية التي قامت بمواصلة العمل، ولكن الناس لا يهتمون بتحسين حالة العلماء العاملين في حقل التعليم مع أهمية ما يقومون به من التعليم. علما بأنهم لا يعطونهم شيئًا مقابل هذه الوظيفة، إلا ما لا يغنيهم من الفقر. ولا يختلف الأمر في المدارس النظامية لأجل قلة الرسوم الدراسية فيها مما يسبب اشتغالهم بأعمال أخرى لطلب المعيشة الطيبة. فهذه المقالة تسلط الضوء على المشاكل التي تنبت من أسلوب دفع رسوم التعليم في المدارس العربية وآثارها على التعلّم والتعليم. وتتلخص في النقاط التالية :

النقطة الأولى: مقدمة

النقطة الثانية: نبذة يسيرة عن حركة اللغة العربية في مدينة إلورن

النقطة الثالثة: رسوم التعليم في المدارس العربية في مدينة إلورن ومشاكلها

النقطة الرابعة: رواتب المعلمين في المدارس العربية في مدينة إلورن ومشاكلها

النقطة الخامسة: الحلول المقترحة لهذه المشاكل

النقطة السادسة: الخاتمة:

نبذة يسيرة عن حركة اللغة العربية في مدينة إلورن

إن شأن مدينة إلورن لا يختلف عن سائر المدن في نيجيريا في انتشار اللغة العربية فيها لكونها لغة الإسلام الكريمة التي يحتاج كل مسلم ومسلمة إلى معرفتها لأن الدين لا يتم إلا باستعمال اللغة العربية، حيث أصبح تعليم قراءة القرآن ضرورة لأداء الصلاة وغيرها من الأمور الدينية. فقد تأسست المدارس الدهليزية لتعليم أولاد المسلمين بنين وبنات في هذه العلوم القرآنية صباحا ومساءً، كما خصصت أوقات لتعليم الكبار. وهذا ما يشير إليه الدكتور عثمان عبد السلام بقوله: بدأت اللغة اللعربية وآدابها في مدينة إلورن ببداية الإسلام فيها كما هو المؤلف في جميع البلاد التي دخل فيها بالمصطلحات الإسلامية التي لا بد لكل مسلم ومسلمة منها كالبسملة والصلصلة والحمدلة وأسماء العبادات كالوضوء والغسل والتيمم والصلاة

والزكاة والحج والتوحيد وغير ذلك، وتقدمت قليلا قليلا في تعليم القرآن والتفسير والحديث والأشعار العربية والمنظومات الدينية وما أشبه ذلك مما ترددت على ألسنة العلماء والمتعلمين وتجري به أعلامهم في الألواح والجلود. (عثمان الثقافي، 2008م).

ولا يدخل أحد في حارة من حارات مدينة إلورن إلا أن يجد فيها على الأقل مدرسة قرآنية حيث يحمل كل طالب لوحًا كُتِب فيه الحروف الهجائية، ثم الآيات القرآنية بداية من سورة الفاتحة بلا شكل، ثم المعوذتين، ثم الإخلاص وهكذا حتى يصل الولد أو بنت إلى سورة الهمزة. ثم يعود إلى البداية ليتعلم هذه السور مرة ثانية وهي مشكولة ويطلب بحفظها. ثم يواصل قراءة السور مع الحفظ حتى يصل إلى سورة الأعلى. ويواصل قراءة السور الباقية بغير مطالبة بالحفظ إلى أن يختم القرآن كله. وفي أثناء تعليم القراءة يتعلم أغلبية التلاميذ الكتابة. (أبوبكر، 2013م) وتستغرق مدة الدراسة في هذا النوع من المدارس أربع سنوات على الأقل قبل أن يختم التلميذ القرآن. وإذا وصل التلميذ إلى بعض سور معينة وأحزاب يطلب المعلم من أبي التلميذ أن يتصدق بطعام أو شاة أو كبش، وترسل هذه الصدقة عادة إلى المعلم نفسه. (أبوبكر، 2013م)

وهناك نوع آخر يسمى مدارس العلم أو المعاهد الدينية، يدرس فيها الطلاب الكتب الدينية بعد إكمال قراءة القرآن. وتكون الدراسة في الدهليز الذي يجلس فيه الشيخ، وقد يكون كبيرا أو صغيرا وقد ييسط فيه حصر أو فراء، على حسب

طاقة الشيخ. وهو في الغالب مكان استقبال الضيوف. والشيخ في هذه المدارس على قسمين: المتفنين والمتخصصين. فالتفنين هو من كان له علم في فنون مختلفة من أصول الدين، والشريعة، واللغة. وأما المتخصص فهو من كان ماهراً في تدريس واحد من تلك الأقسام الثلاثة. (علي أبوبكر، 2013م)

وأسلوب الدراسة فيها هو أن يأتي الطالب إلى بيت الشيخ في أوقات فراغه لتلقي الدرس، والشيخ يلقي الدروس حيث يأخذ الكتاب ويقرأ ويشرح والطلاب يستمعون، فإذا وصل إلى حد يرى أنه كافٍ يتوقف، وقد يأمر طالباً ذكياً من الذين يدرسون هذا الكتاب أن يراجع لزملائه ما قرأ لهم إما بحضوره أو في مكان آخر، ثم يأتي طلاب آخرون ويفعل مثل ذلك. ويبدأ بالكتب الدينية السهلة، وبعدها يدرس الكتب اللغوية، وبعض كتب النحو، والحساب، والتفسير، والحديث، والصرف والبلاغة، ثم التاريخ والمنطق والعروض. بمعنى أنهم يبدؤون من السهل إلى الصعب على سبيل المنهج الاستقرائي. وقد يقرأ الطالب جميع هذه الفنون عن شيخ واحد إن كان متفناً، أو يعدد شيوخه إن شاء، فينتقل من معهد إلى آخر. (أبوبكر، 2013م)

ثم ظهرت المدارس العربية الحديثة أو النظامية في نيجيريا في أوائل القرن العشرين. وذكر الشيخ آدم الإلوري في كتابه الإسلام في نيجيريا أن أول من قام بالتدريس على هذا النظام هو الشيخ محمد مصطفى أفندي؛ نزيل لاغوس 1904م ومؤلف الكتاب المرسوم "مفتاح اللغة العربية"، والشيخ عبد الكريم الطرابلسي

المرادي المتوفى بمدينة كُـنو سنة 1926م، والشيخ محمد اللبيب المشهور بتاج الأدب الإلوري المتوفى سنة 1922م. لكن هؤلاء العلماء كانوا يقيمون هذه المدارس في بيوتهم ولم يخصصوا لها بناءً خاصاً، لذلك زالت آثارهم بموتهم، إلا الشيخ تاج الأدب الذي خلفه تلميذه الشيخ كمال الدين الأدبي. وكان يواصل جهود أستاذه حتى ظفر بتعاون مع الأزهر الشريف في إنشاء المعهد بمدينة إلورن. (الإلوري، 1978م).

فقد كثرت اليوم المدارس العربية النظامية في هذه المدينة، حتى نجد عددا كبيرا من أبناء مدينة إلورن وما جاورها حاملين الشهادة الإعدادية أو الثانوية، وليس هذا فحسب بل نجد منهم حاصلين على شهادة الدبلوم والليسانس والماجستير والدكتوراه. ومن المدارس المشهورة في المدينة: الزمرة الأدبية الكمالية، التي أسسها الشيخ كمال الدين الأدبي سنة 1930م، و كلية محي الدين للدراسات العربية والإسلامية، المؤسسة سنة 1962م على يد الشيخ عبد الله جبريل إمام سبحان، ودار العلوم لجبهة العلماء والأئمة التي أسست سنة 1963م على أيدي مجموعة من العلماء والأئمة في مدينة إلورن برئاسة الأمير الراحل ذي القرنين عَمَرِي وإرشاد الشيخ آدم عبد الله الإلوري، ومركز التعليم العربي الإسلامي أَعُوْد الذي أسس سنة 1965م على يد الشيخ يحي مرتضى.

رسوم التعليم في المدارس العربية في مدينة إلورن ومشاكلها

يقصد برسوم التعليم ما يدفعه التلاميذ ليكون مكافأة للتعليم الذي يتلقاه. وحقيقة الأمر أن التعليم في المدارس القرآنية إنما هو شبه مجاني، لأن علماء هذه المدارس لا يأخذون إلا ثمنًا تافهًا -لا يسمن ولا يغني من جوع- في كل أسبوع، يدفع كل طالب ما لا يبلغ نيرا واحدا (N1)، وفي الوقت الراهن يؤخذ من الطلاب (N5) أو (N10) أو أكثر لكن لا يتجاوز خمسين نيرا (N50). ومع ذلك، لا يدفعه كثير من التلاميذ في الوقت المناسب لذلك كان يشتغل بعض علماء المدارس القرآنية ببعض الحرف اليدوية مثل الحاج سلمان بن عبد الرحيم بن سعد إمام مسجد أَلُورَي المتوفى يوم الثلاثاء شهر يونيو عام 2006م. كان يعلم الناس قراءة القرآن وفي الوقت نفسه يشتغل بالحيكة، وتجارة أدوات البناء. ومنهم الحاج إدريس أُولَايُوُولَا أَكْنِي إمام مسجد الجامع رِيَكِي المتوفى سنة 2010م، وكان يعلم الأولاد في بيته صباحا، وكان له دكان يبيع فيه الأثاث المستعملة، ويعلم التلاميذ كذلك في دكانه مساءً. ومنهم أَلُوفا سلمان أُونِيَاكُو (Alufa Salman Onipako) له مدرسة قرآنية سماها بمدرسة علم الدين لتعليم القرآن بحارة بلوغن فُولَايني إلورن، وهو في الوقت نفسه يشتغل بحرفة التطريز لأنه لا يفرض على التلاميذ أن يأتوا بشيء في كل أسبوع إلا أنه لا يرفضه إن أوتي.

وكان معظم المعلمين في المدارس القرآنية دعاة فيكون أحدهم إماما أو واعظا، كما يشتغل بعضهم بكتابة الآيات القرآنية على الألواح السوداء للتطبيب

والتداوي الروحاني مثل الشيخ مرتضى ألياً ومنهم من يمتاز بكتابة القرآن الكريم بخطه اليدوي مثل الشيخ محمد عيسى الزمفراوي.

وفضلاً عن الرسوم الأسبوعية التي لا يدفعها كثير من التلاميذ في الوقت المناسب، يطلب المعلم من أبي التلميذ أن يصنع طعاماً أو يذبح شاة أو كبشاً ويتصدق به، إذا وصل إلى سور معينة وأحزاب وترسل هذه الصدقة إلى المعلم نفسه. وذهب بعض العلماء إلى أن سبب طلب الصدقة بالطعام أو الشاة أو الكبش التي ترسل بها عادة إلى المعلم يرجع إلى أن كثيراً من الآباء أو أولياء أمور التلاميذ لا يعطون المعلم شيئاً في مقابل تعليمه لأولادهم كما ذهب إليه الدكتور علي أبوبكر:

ويبدو أن السبب في ذلك هو أن معظم الآباء أو أولياء الأولاد لا يعطون هذا المعلم شيئاً في مقابل تعليمه لأولادهم. لذلك اخترع المعلمون هذه الطريقة وأوهوا الآباء أن عدم القيام بهذه الصدقة يجعل الولد غيباً وثقيل الفهم. لذلك فإن الأولاد أنفسهم يُلحُّون على آبائهم في إعطاء هذه الصدقة ليفتح الله عليهم ويزيد حدة الذكاء. أما إذا ختم القرآن فلا بد أن يقيم والده احتفالاً رائعاً يحضره الأقارب والأصدقاء ليباركوا في الولد أو البنت، وليملئوا جيب المعلم أيضاً على حد تعبير النيجيريين. (أبوبكر، 2013م).

وفي بعض المدارس القرآنية يدفع التلاميذ الرسوم شهريا ولا سيما المدارس التي تقع في المجتمع الأكاديمي مثل المدارس القرآنية بمساكن عمال جامعة إلورن، يطلب من كل تلميذ دفع (N500) خمسمئة نيرا شهريا. ومع قلة هذا المبلغ إذا قورن بما يدفع في المدارس الحكومية، فإنه لا يساوي شيئا ولا يدفعه بعض آباء التلاميذ حتى نرى منهم من كان عليه دين سنة كاملة.

ولم تختصر مشكلة رسوم التعليم بالمدارس القرآنية فحسب بل امتدت إلى المدارس العربية النظامية حيث يدفع الطلاب فترا أي ثلاث مرات في السنة. والرسوم الدراسية في معظم المدارس العربية النظامية قليلة بالنسبة ما يدفعه الآباء في المدارس الحكومية والأهلية. ومع ذلك فإن بعض الآباء أو أولياء الأمور لا يدفعون الرسوم في الوقت المناسب إلا بعد طرد أولادهم من المدرسة.

ومن المشاكل المرتبطة برسوم التعليم هو أن قلتها وعدم دفعها في الوقت المناسب يسبب نكد العيش لبعض المعلمين في المدارس القرآنية. وأما في المدارس العربية النظامية فإن الرسوم لا تكفي المؤسسين أنفسهم و مع ذلك، فإنهم يدفعون منها الرواتب للمدرّسين في هذه المدارس إلا من يتلقى المساعدة من الهيئات الخيرية، لهذا اختاروا استبقاء بعض خريجي المدارس ليقوموا بعملية التدريس ويعطونهم أجرا يسيرا. فلا غرو لو مارسوا أسلوب الشيخ آدم في ذلك كما قال الحاج سليمان ألبيري المتوفى سنة 2000م للذين طلب استبقاؤهم من خريجي كلية محي الدين للدراسات العربية والإسلامية سنة 1993م، أن لا يخافوا أنهم قد لا يفهمون

pg. 422

بعض الأشياء من الكتب فعليهم أن يطالعوا ويتعلّموا ما لم يتضح لهم من الكتب قبل ذهابهم إلى الفصل، وأقرّ أن الشيخ آدم الإلوي كان يعلم بعض مدرّسي مركزه بعد صلاة الصبح ما سيدرّسونه في الفصل. وأين مثل هذا الأسلوب اليوم؟

رواتب المعلمين في المدارس العربية في مدينة إلورن ومشاكلها
لاشك في أن قلة الرسوم المدفوعة في المدارس لها أثر كبير في رواتب العمال فيها. فالرسوم التي يدفعها تلاميذ المدارس القرآنية هي بمناسبة الرواتب لمعلمي المدارس الدهليزية، وهي ضعيفة. وفي معظم المدارس النظامية تكون الرواتب التي يتقاضاها المدرّسون ضئيلة. ومن هؤلاء من يحمل شهادة الليسانس والماجستير، وزملاؤهم الذين يحملون الشهادة نفسها ويدرسون في المدارس الحكومية اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية يتقاضون أضعاف ما يتقاضاه المدرّسون في المدارس النظامية الأهلية. وكل من هاتين الفرقتين يشتري حاجياتها في سوق واحدة.

والجدير بالذكر أن بعض الآباء يتركون أولادهم تحت كفالة معلّمهم الذي يتحمل نفقاتهم المعيشية بدون أي دعم مالي من الآباء، ولا اهتمام بحالة المعلم السيئ مثل الأستاذ عبد العزيز أديكيليكين مؤسس المعهد الملوي الأدبي بإلورن. فطلاب مدرسته يناهزون خمسة وستين طالبا، وثمانية عشر منهم تحت رعايته منذ سبعة أعوام. وأعمار هؤلاء الطلاب بين عشر وخمس وعشرين سنة. وهم في الوقت نفسه يتعلّمون في المدارس الحكومية. فمنهم تلاميذ في المرحلة الابتدائية، ومنهم من هو في المرحلة الثانوية، كما يجد من هو في المرحلة الجامعية. ويدفع آباؤهم

الرسوم الدراسية في المدارس الحكومية. والمعلم الذي يطعمهم ويعلمهم الدراسات العربية صباحا ومساءً، لا يأخذ منهم شيئاً بل يدرّسهم مجاناً. لكنه اتفق مع آباء الطلاب الذين يسكنون معه على دفع مبلغ معين شهرياً لإطعامهم، ومع ذلك فإنهم لا يدفعونه إلا قليل منهم، ولا يلتزمون بمواقيت الدفع. فكأن كل ما يتعلق باللغة العربية والدراسات الإسلامية يجب أن يكون في سبيل الله، فجزأؤه عند الله ولا يجده إلا في الآخرة.

وهكذا الأمر لدى الأستاذ تاج الدين حنبلي إمام الجامع في أَوْبُونْدُورُوكُو، معه ما لا يقلّ عن خمسة عشر طالبا وهو يتحمل مسؤوليتهم المعيشية كما يدرّسهم في بيته مع أولاده. ومن هؤلاء الطلاب من يشارك في المدرسة الحكومية أو المدرسة العربية النظامية على حساب معلمهم.

ولأجل قلة الرواتب ظهرت بعض المشاكل التي ترتبط بالتعلم والتعليم لأن المدرّسين فيها يحتاجون إلى طلب ما يطيب معيشتهم، فيشتغل بعضهم بالتجارة إضافة إلى عملية التدريس. وبعضهم يهتمون بحضور الحفلات المختلفة لجمع الصداقات، ولا يأتون إلى المدرسة إلا نادراً فلا يستطيع الطلاب بذلك أن يتلقوا جميع الحصص يوميا، مما يسبب ضعف تعلّمهم. ويعقدون جلسات الدعاء للناس مع بعض الطلاب، ويعطونهم ثمنا قليلا، وقد لا يتفكر بعضهم في مواصلة الدراسة وهذا خطير جداً علما بأن نصف العلم أخطر من الجهل. واشتغل بعضهم بما يسمونه (الجلب) أو (الطب المحلي)، حتى يتجاوز معظمهم حد

المروءة في ذلك، ونرى منهم من يقدم القربان، و قد يشاركهم بعض الطلاب في ذلك.

ويجدر بنا أن نذكر أن بعض المدرّسين الذين يعملون بالتقوى مع ضعف رواتبهم، ويرون هذا العمل أمانة من الله، ويدرسون الطلاب بإخلاص.

الحلول المقترحة لهذه المشاكل

لقد رأينا فيما ذكرنا آنفا أن قلة الرسوم الدراسية التي تأتي من قبل الطلاب تؤدي إلى ضعف الرواتب المدرّسين، ويسبب المعيشة الضنكى، فأدى ذلك إلى اشتغال بعضهم بأعمال أخرى، منها ما كان له آثار سلبية على التعلم والتعليم. فاقترح البحث الحلول الآتية:

- رفع رسوم التعليم مهما قلّ: من المستحسن أن يرفع المؤسسون الرسوم التعليمية ليستطيعوا أن تحسّن رواتب عمالهم.
- الاهتمام بالمدارس العربية من قبل الآباء: ينبغي للآباء والأمهات أن يغيروا موقفهم السلبي تجاه التعليم العربي الإسلامي من خلال الاستجابة لدفع رسوم تعليم أبنائهم في الوقت المناسب كما يفعلون في المدارس الحكومية.
- اعتراف الحكومة بالمدارس العربية: يجب على الحكومة أن تهتم وتعترف بهذه المدارس وعليها أن تمدّ إليها يد المساعدة والتعاون كما تفعل في المدارس الحكومية. وينبغي لها أن تجعل التعليم مجانا، علما بأن التعليم كالماء والهواء يحتاج إليهما الجميع حسبما قاله طه حسين لما عين وزيرا

للتربية بمصر، وألا تفرق بين طلاب المدارس الحكومية وغير الحكومية في ذلك، لأنهم جميعا من أبناء الوطن.

- تقديم المساعدة من خريجي المدارس: يستحسن لخريجي هذه المدارس أن يسهموا في تطويرها وأن يقدموا دعمهم إليها عند الحاجة.
- تحسين خلق المدرّسين تجاه عملهم: يجب على المدرّسين أن يزيدوا جهودهم نحو التدريس، وليروه أمانة لا يجوز خيانتها.

الخاتمة

كل إنسان يعيش يطلب الحياة الطيبة، ولا يقلّ أمر التغذية في حياة أي فرد. وهكذا الأمر لدى المدرّسين في المدارس القرآنية والمدارس النظامية العربية الحديثة. وليس لمعظمهم سبيل إلى كسب المال الحلال سوى ما يدفعه الطلاب مع قلّته، غير أن بعض الآباء يأبون أن يدفعوه أو لا يأتون به في الوقت المناسب. ومن خلال هذا البحث تبينت قلة الرسوم الدراسية في المدارس العربية وضعف رواتب المعلمين مما يؤدي ببعض المدرّسين إلى الاشتغال بأشياء أخرى. فترى بعض الطلاب يقتدون بمعلميهم فيما يفعلونه و لا يبالون بمواصلة دراساتهم. ولا يخفى ما لذلك من آثار سلبية على التعلم والتعليم. والحقيقة أن منهم من يجتهد في أداء هذا العمل مع ضعف رواتبه، لذلك نجد اليوم الماهرين من الطلاب. وفي الختام عرضنا بعض الاقتراحات منها اعتراف الحكومة بهذه المدارس ومدّ يد

المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع أحد معلّمين في المدارس القرآنية بمسكن عمال
جامعة إلورن؛ السيد ذكر الله عالم، يوم السبت الموافق 2016/4/25م
المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع مؤسس المعهد الملوي الأدبي؛ الأستاذ عبد
العزیز عبد اللطيف أديكيلیکن، يوم الأربعاء الموافق 2016/4/27م
المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع خليفة الشيخ محمد بن عيسى؛ الإمام عيسى
محمد عيسى في بيته يوم السبت الموافق 2016/6/5م.

المرجع الإلكتروني

<http://elaph.com/Web/NewsPapers/2007/9/260710.htm>

أحمد بهجت، التعليم كالماء والهواء، الأهرام المصرية، 2016/4/24م.